ولا يخفف وطأتهُ عنها الا كون حكومتها تنفق اكثر اموالها في بلادها فلا تخسر البلاد الاَّ ما تدفعهُ الى الولايات المتحدة عن دينها . واذا استطاعت ان تستوفي الديون التي لها على فرنسا وايطاليا وسائر الدول او ان تستوفي ربا هذه الديون على الاقل فانها تعود من اغنى ممالك الارض

مؤتمر المهاجرة

عزمت اكثر امم الارض أن تعقد في مدينة رومية ،في شهر ايار (مايو) من هذه السنة ، مؤتمراً ينظر في شؤون مختلفة تتعلق بالمهاجرين وبالبلاد التي يجلون عنها والبلاد التي يؤمّونها. وقبل ان نذكر شيئاً عن هذا المؤتمر نستحسن مراجعة بعض الحقائق المقرّرة بالنظر والاختبار :

(١) اعظم اسباب المهاجرة ثلاثة :

(١) فقر البلاد المهاجر منها ، كأن تكون جبلية صخرية ، او رملية قاحلة ، او ان يكون تزاحم السكان فيها عظيماً لكثرة المواليد او لطارىء يوقف دولاب الاعمال

(٢) ظلم الحكومة او الاضطهاد السياسيّ او الديني

(٣) دعوة الحكومات التي تحتاج الى تعمير بلادها ، بأن ترغّب الناس بالجلاء عن بلادهم اليها ، مستعملة كل وسائل الاستغواء

(ب) المهاجرة تكون امّا وقتية وامّا ابدية ، اي ان من المهاجرين من يعود الى وطنهِ الاصلي ومنهم من يستوطن دار هجرتهِ

(ت) المهاجرة أثر عظيم في المهاجرين انفسهم ،وفي وطنهم القديم وفي وطنهم الجديد :

(١) قد تكون المهاجرة سبب ارتفاع المهاجرين وهنائهم وقد تكون سبب انخفاضهم وشقائهم وفقاً لاستعدادهم للعمل ولتهذّب اخلاقهم ولجري القضاء الاعمى

(٢) اذا كانت المهاجرة نتيجة فقر البلاد او غصبها بالسكان عادت بالفائدة عليها لما يعقبها من الانفراج وورود المال الذي يُرسلهُ المهاجرون الى اهلهم . واذا كانت نتيجة الظلم والاضطهاد عادت بالضرر الجسيم على البلاد لان اول من يهرب من الجور المتنوّرون

(٣) اذا كان النازحون اصحاب علم او ارباب صناعة او ذوي اموال او اهل فلاحة ، فمُنعم البلاد التي يحلون فيها عظيم . واذا كانوا من الطبقة التي تأبى الا السكن في المدن الكبيرة ولا رأس مال لديها ولا صناعة بيدها ، فالضرر منها كبير . واذا كان المهاجرون النافعون من جنسية واحدة ونزل عدد كبير منهم في بقعة واحدة ، صعب اختلاطهم بالسكان الاصليين واندغامهم بهم فيؤلفون جسماً غريباً في الكيان الوطني يحوّل نفعهم الى ضرر

اما المهاجرون الوقتيون فالخسارة بسببهم اعظم من الربح ، لانهم يعيشون على الغالب عيشة زرية راضين بابخس الاجور ، فيختطفون اللقمة من افواه الالوف من العمالات الوطنية ، ومتى امتلأت جيوبهم عادوا الى بلادهم الاصلية ومعهم من ذهب البلاد الجديدة شيء كثير

(ث) اوربا وآسيا مصدر المهاجرين . واميركا واوستراليا وافريقية مأمُّهم

***

اذا كانت مواليد الناس كثيرة كما هي الحال في ايطاليا والمانيا فالبلاد تحتاج الى اخراج قسم من سكانها كل سنة ؟ ولكن كل بلاد متمدنة ، تريد ان تضمن راحة ابنائها النازحين ، اثناء سفرهم وبعد وصولهم الى البلاد الاجنبية ، وتريد ايضاً ان تحافظ على جنسيتهم

واذا كانت البلاد جديدة مترامية الاطراف ، جيدة التربة ، غزيرة المياه ، كانت بحاجة الى شبان اشداء مستعدين للعمل ، لانها لا تعمر اكنافها ولا تبرز ارضها خيراتها ما لم تكثر فيها الايدي العاملة ، لذلك ترحب حكومتها بوفود المهاجرين وتحلهم في دار مخصصة لاستقبالهم الى ان تدبر لهم مراكز عمل في المزارع الكبيرة أو تُقطعهم اراضي جديدة لا يدفعون عنها مكوساً الا بعد مرور عدد من السنين . ولا تقتصر الحكومة على الترحيب بمن يفد بل تُوفد من قبلها الى البلاد المزدحمة بالسكان من يستوفد الناس . على انها مع كل حاجتها الى المهاجرين ومع استنباطها كل وسائل الترغيب ، لا تريد ان تتعدد القوميات فيها ، بل تريد ان يندمج كل القادمين في قومية واحدة ، لان قوة البلاد وفلاحها يتوقفان على وحدة القومية وشدة لُحمتها . واذا تُرك عمل الاندماج الى الطبيعة طال امرهُ لان الوطن قتال ولأن حكومة البلاد المهاجر منها تستعمل جميع الوسائط للاحتفاظ بقومية ابنائها الراحلين . واذا تشددت حكومة البلاد الجديدة واستعجلت عمل الاندماج بمنعها المدارس

الاجنبية من تدريس العلوم بغير لغة البلاد وأجبرت كل الاجانب على تعلم لغتها ، حسبت حكومة البلاد المهاجر منها ان ابناءها يهانون ويظلمون وابتدأت بالاحتجاج

هذه هي المعضلة الكبيرة ، نراها بصور مختلفة كل فترة من الزمن وما هي الا النزاع على قومية المهاجرين بين البلاد القديمة والبلاد الجديدة . ومتى عزم السياسيون على عقد المؤتمرات لا يجسر احدٌ منهم أن يمس موضوع النزاع على الجنسية في لائحة المؤتمر او ان يذكر الدافع الحقيقي الى عقده لانهُ اذا فعل صدق والصدق ليس من شيم السياسة (١)

على هذه الطريقة السياسية دعت حكومة ايطاليا كل حكومات العالم الى عقد مؤتمر عام للهاجرة في شهر ايار (مايو) من هذه السنة في مدينة رومية . دعت حكومة سيام ايضاً مع ان غايتها من المؤتمر تكاد تنحصر في الولايات المتحدة والبرازيل والارجنتين

ولكن لماذا صدرت الدعوة من ايطاليا او لماذا اهتمت ايطاليا قبل غيرها بعقد المؤتمر مزاحمةً فرنسا واتكلترا على عقد المؤتمرات ؟ الجواب بسيط. فانكلترا لا تحتاج الى الخابرات متى عزمت على شحن فريق من ابناءها لان لها مستعمرات واسعة غنية بتربتها ومعادنها وأخشابها ، يبقى فيها المهاجرون على قوميتهم ولغتهم . وفرنسا لا تحتاج الى المهاجرة لسبب تناقص المواليد فيها : وان قررت ارسال قسم من ابنائها وبناتها الى الخارج فهي لا تحتاج الى المفاوضات لان لها مستعمرات كبيرة طيبة مثل مداغاسكر والجزائر وتونس وسورية . أما ايطاليا فبالعكس ، لان مواليدها كثيرة ومستعمراتها قليلة وصغيرة وغير صالحة على الغالب ، فهي تحتاج الى حسن ضيافة من بقية الممالك . والذي يريد ان يدخل بيت غيره عليه على الاقل ان يقرع الباب ويكلم صاحب المنزل اولاً

والارقام التالية مأخوذة من رسالة لممثل البرازيل في اللجنة المالية الاقتصادية بجمعية الامم توضح منزلة الطليان بين المهاجرين :

من العمال الذين يهجرون بلادهم الى بلاد اوربية اخرى طلباً للرزق ٥١ في المئة طليان . من فلاحي المهاجرين الى كل انحاء العالم ٣٧ في المئة طليان . ومن عمال المصانع ٦٨ في المئة طليان. خمس المهاجرين من اوربا طليان، واذا طرحنا من المجموع

(١) ارجو من القارىء ان يضع فارقاً بين السياسة والادارة لان الاستعمال الشائع يجعل الاداريين سياسيين ايضاً

الانكليز الجائين الى المستعمرات الانكليزية كان نصف المهاجرين من اوربا الى بلاد غربية طلياناً . لذلك كانت حكومة ايطاليا السابقة الى الدعوة وقد قبلت دعوتها حتى الساعة اربعون امة

***

ليس للمؤتمر المنوي عقده صبغة سياسية ، بحسب التصريحات الرسمية لذلك يُرجى لهُ النجاح السريع . ولكن التصريحات الرسمية لا يُعبأ بها ، لانها كلما ازدادت رسميتها بعدت عن الصحة حقيقتها . ألا يذكر القارىء خطاب سفير رومانيا في مأدبة وزير خارجية النمسا ؟ فانهُ نهض عن الطعام ورفع كأس الشمبانيا وشرب نخب صداقة الامتين وولائهما الثابت الاركان مدى الدوران ، في الدقيقة التي كان وزير خارجية رومانيا يكتب فيها صورة اعلان الحرب على النمسا . لنرجع الى المؤتمر . قلنا انهُ ليست لهُ صبغة سياسية بل سيتبع المساق الآتي

(١) نقل المهاجرين

(٢) المحافظة الصحية

(٣) تعاون دوائر المهاجرة في البلاد المهاجر منها والبلاد المهاجر اليها

(ا) اعانة المهاجرين في مرافىء الرحيل ومرافىء الحلول وخصوصاً الاولاد والنساء

(ب) انشاء دوائر مضبوطة الادارة لارسال المهاجرين جنساً وعدداً وفاقاً لحاجة البلاد المنوي الرحيل اليها ، وهذه الدوائر عبارة عن مكاتب استعلامات ووكالات تدبير اشغال للواصلين ومكاتب شركات استعمار وشركات انشاء مزارع صغيرة متجاورة

(٤) انشاء روح الروية والتعاون بين المهاجرين (موضوع مدرسي كنسي اذا عالجهُ المؤتمر باساليب جديدة أفاد الانسانية جداً)

هذه نبذات الخطة المرسومة للمؤتمر ، فاذا لم تتفجر ينابيع الابتكار من ادمغة اعضائهِ ارضٌ على غير فائدة : لان كل النبذات المتقدم ذكرها معروف بها ، وتحسين القيام بها لا يستدعي مؤتمراً يشمل مندوبي اربعين امة

غير ان الغاية من المؤتمر قد لا تكون مذكورة في اللائحة المنشورة ، وقد تعرض في أثناء المناقشات مواضيع لم تُعلن سهواً او عمداً فتُعيّن لها لجانٌ ويتناقش فيها

ومن المواضيع الممكن ظهورها طريقة استعمال اموال المهاجرين فالبلاد المهاجَر

منها علاوةً على انفراجها من زحمة السكان العاطلين تطلب دخول المال اليها بما يُرسلهُ المهاجرون الى اهلهم او بما يحملونهُ عائدين بهِ الى وطنهم لتعاطي الاعمال. والبلاد المكروثة بهبوط ورقها اكثر اهتماماً من غيرها باستيراد التحاويل المالية، فانتفاعها من المهاجرة حاصل عاجل. واما البلاد الجديدة فانتفاعها واصل آجل، مقدّرٌ تقديراً اي انهُ يتوقف على مرور الزمان وكفاءة المهاجر. لذلك تتطلب حكومات البلاد الجديدة ان يكون انتفاعها على نسبة نفقتها وانتظارها. فلا يوافقها خروج المال منها الى البلاد القديمة، هذا مع عدم انكارها الفوائد الجمة المتأتية عن ازدياد السكان وتجدّد الدم وما اليهما. فالمسئلة دقيقة جدًّا اذا احتدم الجدال فيها يصعب تعيين نقطة التوازن بين الفريقين. فهل يجوز لحكومة الارجنتين مثلاً منع المهاجر الايطالي من ارسال ما يكتبُ الى اهلهِ في ايطاليا لكي يساعدهم او لكي يشتروا لهُ بها املاكاً او من حَمْل كلّ جناهُ والعودة الى وطنهِ الاصلي؟ واذا جوزت لنفسها هذا المنع محافظةً على المصلحة فماذا يكون موقف حكومة ايطاليا نحوهُ؟ او على اية طريقة من الطرق التي تعرقل الارساليات يمكن ان يتفق الفريقان

ثم لو ارادت حكومة مُسّوليني ان تنفذ قرارها القائل بأن تكون المهاجرة الايطالية الى اميركا الجنوبية تحت ادارة الحكومة الايطالية وعلى نفقتها، وأن يكون عمل المهاجرين الطليان في مزارع اميركا او مصالحها برأس مال ايطاليّ تحت مراقبة ايطاليا، وان يحمل الى ايطاليا جزء معيّن من ارباح كل سنة وان يرافق المهاجرين معلمون ايطاليون لكي لا تتغلب لغة كامويئس وسرفانتس على لغة دانتي، اي ان تكون دول ايطالية جديدة في قلب البرازيل والارجنتين. فماذا تقول هاتان الجمهوريتان في خطة مسّوليني؟ بالطبع ستقابلانها بالرفض ولكن عن ايّ النقط يتنازل مسّوليني وفي ايّها تتساهل البرازيل والارجنتين لكي يحصل الاتفاق وكلٌّ من الفريقين في احتياج الى حصول المهاجرة لان فريقاً يطلب الانفراج والآخر يطلب التعمير؟

***

انقلاب الهيئة الاجتماعية بعد الحرب امرٌ مشاهد لا حاجة الى الاسهاب فيهِ لاثبات وقوعهِ. يكفي القول هنا ان الآراء تغيّرت والآداب تبدّلت والطباع استحالت. ومن أسباب هذا التغيّر انتشار الافكار الفلسفية البلشفية، وتغيّر نظام التهذيب في المدارس مدّة الحرب، وعيشة الكسل والفساد العقليّ مدة اربع

سنوات في الخنادق ، بما كان يتخللها من الشراسة في المواقع والفظاعة بعدها ، لذلك كثر الكسالى والسكيرون والمخلون بالنظام . ولا يتضح كل هذه الطبقة القذرة من سكان اوربا او يزداد سكرها او يتفاقم اخلالها الا متى جاءت الى بلاد جديدة واسعة الحرية كثيرة الرخاء . شاهدت كثيرين من الالمان و المجر والتشك الذين أقطيموا أحسن الاراضي في ولايتي بنسلفانيا وساسكاتشوان — وهاتان الولايتان تعادلان بعض لبنان هواء — فكان الواحد منهم يرحل في اليوم الثالث من وصوله طالباً المدن . ويا ليت هؤلاء الفارّين من الزراعة يصلحون للصناعة . قلت مرّة لصاحب معمل صغير ، لماذا لا تزيد عدد عمالك وعندك ما يكفي من رأس المال ، والطلب على اصنافك كبير ؟ فأجاب « وانى لي تدبير العمال ؟ قلت الا ترى مئات المهاجرين من ابناء وطنك ؟ (وكان هو المانيًّا قحًّا) فأجابني انهُ لا يحتمل رؤية المهاجرين من وطنه ولو صُوِّروا بالزيت لانهم لا يصلحون لعمل ، وان البون بين الذين قدموا قبل الحرب والذين يفدون الآن شاسع

هذا من حيث الرغبة عن كل عمل زراعيًّا كان او صناعيًّا . واما من حيث المحافظة على النظام فضرر هؤلاء القادمين اكبر لانهم يجيئون واعتقادهم الراسخ ان البرازيل او الارجنتين بلاد متأخرة في ميدان الحضارة وان سكان هذه البلاد يزحفون في الظلام زحفاً ولا يتمكنون من النهوض والسير ما لم تسطع عليهم انوار الاوربيين ، فيطأون هذه البلاد ممزّقي الثياب شامخي الانوف ويطفقون يلوكون أحاديث الشيوعية التي اعتادوا سماعها في اوربا من خطباء الازقة ؟ فتحدث كلامهم استعداداً ضارًّا في نفوس السذج والمنتضين الذين لا يفقدون شيئاً في الثورات بل يرجون الكسب . وكثيراً ما سمعت في أسفاري الاحاديث الفوضوية والشيوعية من القادمين في السنين الاخيرة ، الذين لم يجدوا عملاً يناسبهم لانهم لا يحبون الشغل

لا عجب ان قررت حكومات امركا رفض هذه الطبقة من المهاجرين ولكن اذا كانت الحكومات الاوربية تروم الاستراحة منهم والمكافاة على ظهورهم في بلاد غريبة فلا مندوحة لها عن الاحتجاج على حكومات امركا والتذرّع بكل الوسائط لكي تلطف قانون المهاجرة . فلنرَ ماذا يقرر المؤتمر !

***

والذي استخلصهُ من مباحث اولي الشأن هو ان حكومات امركا تحبّ ان لا تسمح بالمهاجرة اليها للرجل المفرد خصوصاً اذا كان متزوّجاً وعائلتهُ في اوربا، لانهُ

يكون اذ ذاك على الراجح طياراً . يجمع ما يقدر عليه من المال ويعود به . واما الرجل الذي تصحبهُ عيلتهُ — واصطحاب العيلة علامة العزم على التوطن — فانها ترحب به وتعطيه قطعة ارض يحرثها ويستغلها بمساعدة أهل بيته

هذا ما تميل اليه هذه الحكومات ولكنها لا تقدم على اصدار قرار بشأنه ما لم تجسّ دول اوربا اولاً وتشعر بما في نبضها من الاستعداد للاعتراض على عملها . لذلك يجوز ان تكون هذه النقطة من جملة ابحاث المؤتمر ومثلها مسئلة المهاجرة الى الولايات المتحدة وقوانينها العادلة في عيون الاميركيين الظالمة في نظر الاوربيين ، ومسئلة شحن الولايات المتحدة الالوف من سودها بعالمهم وعيالهم الى وادي نهر الامازون في البرازيل لكي تتخلص منهم وتجعل لها بواسطتهم نفوذاً نظيراً في هذه الجمهورية

والمواضيع التي قد تطرق في المؤتمر كثيرة يكفي منها لهذا المقال ما تقدّم . ولنرَ هل تجري ابحاث المؤتمر على الطريقة الاكاديمية اي النظرية الوهمية المتسرّع فيها أو على الطريقة التجارية الادارية المتأنية . فان كانت الاولى فبشر امم الارض بمؤتمر اخر يعقد بعد هذا بشهرين وغب مرور شهرين آخرين يعقد مؤتمر ثالث يبحث في ما بحث فيه الثاني والاوّل على غير فائدة ، كما حصل في مؤتمرات الحلفاء بعد الحرب . وان كانت الثانية فالنتائج تكون بطيئة الظهور ثابتة مفيدة الى سنين كثيرة ، على حدّ المثل الايطالي القائل « كِيْ ڤامپيانو ڤالوتانو »

على انهُ لماذا لم تصدر الدعوة الى المؤتمر من لجنة « العمل » في جمعية الامم وأصحابها قد أزاحوا الستر عن بادعائهم خدمة الانسانية ؟ السبب واضح وهو ان جمعية الامم لم تُسرّ هذا الموضوع اهتمامها لانها منهمكة في تقرير ابتلاع شعوب الشرق الصغيرة بطريقة عصرية متمدنة انسانية تضمن لهذه الشعوب عدم الشعور حين ابتلاعها ، ولأن الولايات المتحدة لا تحضر مؤتمرات جمعية الامم . ومع هذا نرى ايطاليا تحتج العصة المنوقرة ، فانها صرّحت وفقاً للمنبعات السياسية انها لا تنوي كسر بنود القسم الثالث عشر من معاهدة فرسايا ، اي انها لا تقصد التعدي على حقوق جمعية الامم !!

واننا نقرب بفروغ صبر البرقية المبشرة بأن دولة لبنان الكبير ودولة اللاذقية ودولة حلب ودولة الشام ودولة عبر الاردن ، ودولة فلسطين ودولة الاتحاد السوري قد لبت دعوة ايطاليا لكي يكون لنا في المؤتمر من يدافع عن حقوقنا ومصالحنا في المهجر

كوريتيبا — البرازيل في ٣ نيسان سنة ١٩٢٤ علي عطار